

كلمة جميلة في زياد شبطون المالكي

قال في الجراب (١١٨/١١):

روى الحارث بسنده إلى عمرو بن عبد الله القاضي قال : سمعت أن زياد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي الملقب بشبطين جاء إلى ناحيتنا ، أظن إلى أبي لشهود جنازة، فاحتاج إلى وضوء، فسأل ماء فقال له: إنه وقعت في البئر دجاجة، فقال: وإن، فأتي بماء من تلك البئر فتوضأ، قال عمرو بن عبد الله : فأخبرت سعيد بن حسان بما انتهى إلي من فعل زياد ، فقال سعيد: زياد فعل هذا؟ فقلت: نعم. هذا الخبر شائع عندنا ، سمعناه من رجالنا ونسائنا، فقال لي سعيد: فكيف كان ماء البئر؟ فقلا: كان الماء كثيرا، فقال سعيد : لعل هذا اهـ
قلت:

وزياد بن عبد الرحمن اللخمي هذا من جلة الفقهاء والعلماء العاملين، وقد ذكروا أنه أدخل الأندلس علما كثيرا ، وأحبي سننا، منها تحويل الرداء في الاستسقاء وغيره، وقد قال فيه الخليفة هشام بن عبد الرحمن : صحبت الناس وبلوهم فما رأيت رجلا يسر بالزهد أكثر مما يظهر إلا زياد بن عبد الرحمن .

ومن مواقفه الرائعة التي تدل على رسوخ قدمه في الزهد وصدقه في الورع أنه طرده الخليفة الحكم مرة ليلا ومعه مال جسيم حتى وقف ببابه، وأمر الفتيان فطرقوا عليه الباب فقال من ؟ قالوا: هذا الأمير فافتح الباب ، ففتح، وخرج إليه وسلم ودعا ثم قال: يا ابن الخلائف ما جاء بك في هذا الوقت؟ فقال: أتيتك بمال صار عندي من حله فضعه حيث ترى، فقال زياد: يا ابن الخلائف ستجد من هو آمن عليه مني وأحق. وسمى له قوما، فأبى الخليفة إلا أن يقبضه ، فحلف زياد أن لا يقبضه، فصدر الخليفة وهو يقول : اللهم أعني على طاعتك بمثل هذا وأشباهه اهـ

فرحم الله أولئك القوم حكاما ومحكومين، كانوا جمال الأرض، وبهجة التاريخ، وغررا في جبين الأيام.

ومسألة البئر التي وقعت فيه الدجاجة الأصل فيها حديث بئر بضاعة، وهو صحيح من الأحاديث الملقبة، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها، وقيل له : إنها بئر ترمى فيها الجيف وخرق الحيف، فقال عليه الصلاة والسلام : (إن الماء طهور لا ينجسه شيء) اهـ مما يدل على أنها كانت ملأى غزيرة الماء، لا تتغير أوصافها بذلك. وهذا بخلاف من يقصر نشاطه على الرواية دون تفقه ، كما يحكى عن أحد الأكابر من أقران أحمد ويحيى بن معين أنه سئل نفس المسألة فقال

للسائل : ويحكم لماذا تركتم البئر معرأة ، هلا أغلقتم فتحتها!وسئل آخر ممن نعرفه عن كلب
مبلول انتفض فأصابه من رشاشه فقال: (واش جلسك مع الكلاب يا ابن الكلب).